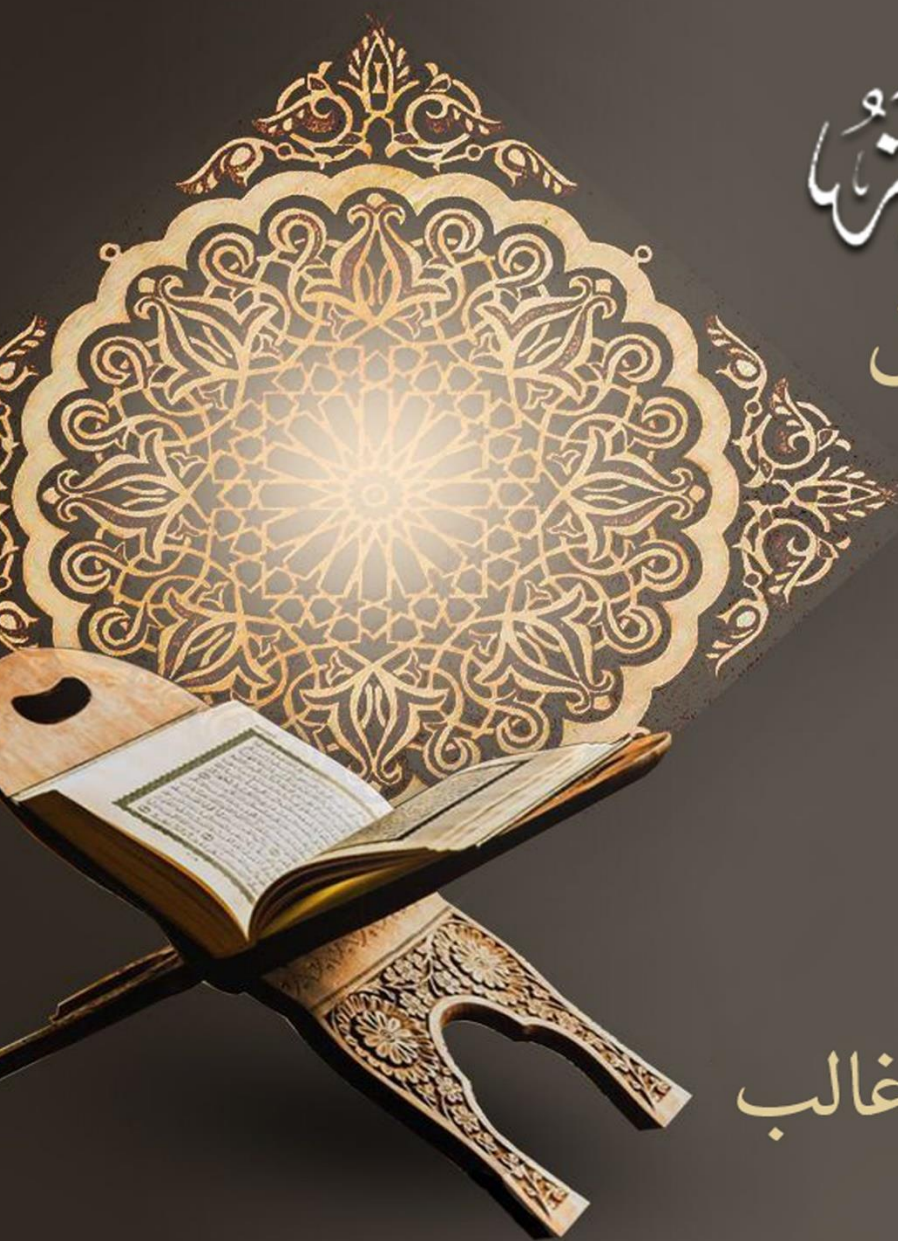


السيرة النبوية

وتعزيز القيم والأخلاق
في عصر الإلحاد

د. عبدالسلام حمود غالب



السيرة النبوية وتعزيز القيم والأخلاق

في عصر الإلحاد: دراسة تحليلية

أ.د. عبد السلام حمود غالب الأنسي

عميد كلية التربية واللغات والإعلام بجامعة النجاح برعو، صوماليلاند،

وجامعة الزيتونة الدولية، سوريا

المقدمة: التحدي الإلحادي المعاصر ودور السيرة النبوية في تعزيز المنظومة القيمية

يُعَدُّ الإلحاد، بصفته ظاهرة فكرية وفلسفية، تحديًا قديمًا متجددًا للوجود الإنساني وتساؤلاته الكبرى حول الخالق والغاية من الوجود. وبمعناه الواسع، يُعرف الإلحاد بأنه عدم الاعتقاد أو الإيمان بوجود الآلهة على الإطلاق. أما بالمعنى الضيق والأكثر تحديدًا، فيُعتبر الإلحاد موقفًا جازمًا يُعلن صراحةً أنه لا توجد آلهة. وعمومًا، يُشير مصطلح الإلحاد في سياقاته الشائعة إلى غياب الاعتقاد بأن الآلهة موجودة، وهو ما يُعرف بـ"الإلحاد السلبي" أو "اللاأدرية" في بعض صورهِ. إن الملحدين الذين يُنكرون وجود إله لهذا الكون بحجة أنهم لا يرونهُ، يُواجهون تناقضًا عقليًا واضحًا؛ فالعقل البشري، وإن كان أداة قوية، يُدرك في ذاته أن حواسنا قاصرة عن معرفة أو إثبات وجود كل شيء. فكم من الموجودات (كالجاذبية، والموجات الكهرومغناطيسية، والذرات الدقيقة) لا نراها بأعيننا المجردة ولا ندركها بحواسنا المباشرة، ومع ذلك نُؤمن بوجودها بناءً على آثارها أو أدلة عقلية وعلمية غير مباشرة. لهذا، صحَّ ما قيل عن الإلحاد: "إنه عدم العلم.. لا

العلم" (لؤي علي، ٢٠١٧، اليوم السابع)، أي أنه يُمثل جهلاً بما وراء الحس، وليس معرفة يقينية بالنفي.

لقد ساهمت بعض التيارات الفكرية والفلسفية في نشر بذور الإلحاد، خاصة في القرن العشرين، حيث برز دور بعض المفكرين اليهود في هذا السياق، مستغلين حالة الصراع التاريخي بين الكنيسة الأوروبية والعلم، واضطهادها له. فقد قدم كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣ م) نظرياته الاقتصادية التي تفسر التاريخ والمجتمع تفسيراً مادياً خالصاً، حيث اعتبر الدين "أفيون الشعوب" الذي يُخدر الوعي ويُعيق الثورة (ماركس، ١٨٤٤ م، مساهمة في نقد فلسفة الحق لهيجل، ص ١٧٥). وكذلك قدم سيجموند فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩ م) نظرياته النفسية التي تُحاول تفسير الظواهر الدينية بأنها نتاج لعقد نفسية أو رغبات مكبوتة. وقد تبنت الأنظمة الشيوعية المنهارة هذه الأفكار لترسيخ إلحادها، حيث قال لينين (١٨٧٠ - ١٩٢٤ م): "الإلحاد هو شيء طبيعي في الماركسية بل هو روح الماركسية" (لينين، ١٩٠٥ م، الاشتراكية والدين).

إن خطورة الإلحاد تتجاوز مجرد إنكار وجود الخالق؛ فهو يُؤدي بالإنسان حتماً إلى الكفر بيوم القيامة، وبالثواب والعقاب، وبالجنة والنار، وبكل المعتقدات والعبادات التي بها ينال العبد رضا ربه ويُصلح حال البشر في الدنيا. فإزالة الإيمان بالآخرة، تنتفي الغاية الأخلاقية للسلوك البشري، وتُصبح الحياة مجرد وجود مادي بلا معنى أسمى. ويكفيهم عقاباً في الدنيا أن طمس الله على قلوبهم، وحرّمهم من نور الهداية والسكينة التي يجدها المؤمن.

تُقدم هذه الدراسة استكشافاً معمقاً لأسباب الإلحاد، وأنواعه، وسبل مجادلة الملحدين ومناظرتهم بأسلوب علمي ومنطقي، مع التركيز على دور السيرة النبوية العطرة كمنبع أصيل للقيم والأخلاق، وكيف يمكن لها أن تُعزز المنظومة القيمية والأخلاقية في مواجهة التحديات الإلحادية المعاصرة.

١ - أسباب الإلحاد: تحليل معمق للدوافع والمسارات

يتعجب البعض ويتساءلون: وهل للإلحاد أسباب؟ وهل هو مجرد اختيار عقلي بحت؟ الإجابة أن الإلحاد، وإن ادعى أنه اختيار عقلي ومنطقي، إلا أنه في كثير من الأحيان يتأثر بعوامل متعددة نفسية واجتماعية وفكرية، مما يُفسر انتشاره في بيئات معينة وظروف خاصة. ذكر لؤي علي في مقال منشور في جريدة "اليوم السابع" (لؤي علي، ٢٠١٧، اليوم السابع، عنوان اسباب الالحد ونوردها كما يلي:

الانبهار بالثورة العلمية والتكنولوجية:

جعل انبهار بعض الناس بالتقدم الهائل في الثورة العلمية والتكنولوجية يظنون أن المادة هي كل شيء، وأنها هي التي خلقت الأشياء من قبل، أو أنها تفسر كل الظواهر دون الحاجة إلى خالق. هذا الانبهار أدى إلى "التأليه للعلم" و"المادية المطلقة"، متجاهلين أن العلم يكشف عن "كيفية" عمل الكون، لا عن "لماذا" وجد الكون، أو "من" أوجده. فالعلم لا يُجيب عن الأسئلة الميتافيزيقية الكبرى.

انتشار تلاحق الأفكار والرؤى عبر وسائل التواصل الاجتماعي والإنترنت:

سهّلت ثورة الاتصالات انتشار الأفكار والرؤى ووجهات النظر المختلفة عبر وسائل التواصل الاجتماعي والفضائيات والإنترنت. فقد تأثر بها البعض بحيث أصبح العالم قرية صغيرة، تُنقل فيها الشبهات بسرعة فائقة ودون تمحيص، مما يُعرض الشباب خاصة لأفكار لم يكونوا مستعدين لها فكرياً أو عقدياً، فتتزعزع قناعاتهم.

الاستسلام لوساوس الشيطان:

الجانب الروحي لا يُمكن إغفاله. فقد تعهد الشيطان بغواية البشرية وإضلالها عن صراط الله المستقيم، وهو العدو المبين الذي يُزين الباطل ويُلبس على الحق. والاستسلام لوساوسه يُعد من الأسباب الروحية للإلحاد.

الظهور السيئ والمشين لبعض الجماعات المتطرفة:

أدى الظهور السيئ والمشين لبعض الجماعات المتطرفة التي تتستر بالدين إلى تشويه صورة الإسلام في أذهان الكثيرين، وخوّفت منه، وقدمت نموذجاً خاطئاً ومشوهاً عن

التدين. هذه التصرفات دفعت بعض الشباب إلى التنكر للدين ككل، ظناً منهم أن المشكلة في الدين ذاته وليس في فهم هؤلاء المنحرفين.

محاولة ضعيفي الإيمان للتفلت من ضوابط الأخلاق والالتزام الديني: يميل بعض ضعيفي

الإيمان إلى التفلت من ضوابط الأخلاق والالتزام الديني الذي يفرضه الإيمان بوجود خالق وحساب. هذا الهروب من المسؤولية الأخلاقية يجعلهم يختارون الإلحاد كـ"ملاذ" يريح ضمائرهم من تأنيب الدين، ويُبّرر لهم اتباع الشهوات بغير قيود.

الإعجاب المفرط بالعقل واعتقاده أنه قادر على خدمة الإنسان بعيداً عن الشرائع الربانية:

يُعجب البعض بالعقل إعجاباً مفرطاً، ويعتقدون أنه قادر على حل كل مشكلات الإنسان وخدمته بعيداً عن الشرائع الربانية، ناسين أن العقل البشري محدود مهما بلغ من الذكاء، وأنه بحاجة إلى هداية الوحي في القضايا الكبرى كـ"من أين؟ وإلى أين؟ ولماذا؟".

مرور بعض الناس بمشاكل نفسية وشعوره بالظلم أو بترك الله له:

قد يمر بعض الناس بمشاكل نفسية عميقة، أو شعور بالظلم الشديد، أو فقدان الأمل، فيحفزهم ذلك ويدفعهم نحو الإلحاد وإنكار وجود الله، ظناً منهم أن هذا الوجود هو سبب معاناتهم، أو أن الله قد تركهم. هذا "الإلحاد العاطفي" ينبع من الألم والمعاناة لا من الحجة العقلية.

التأمل في الكوارث والمصائب دون فهم لحكمة الله:

قد يتأمل بعض الناس في الكوارث والمصائب (كالزلازل والأوبئة) دون فهم عميق لحكمة الله تعالى وابتلائه، مما يجعلهم يعتقدون بعدم وجود رب للكون أو بعدم رحمته، وهو فهم قاصر لحقيقة الابتلاء في الدنيا.

اختلافات الأديان واغتراره بكثرة أعداد الملحدين:

قد يرى البعض اختلافات في الأديان السماوية وغير السماوية، ويُصاب بالحيرة، فيقرر نفيها كلها. كما أن الاغترار بكثرة أعداد الملحدين في بعض المجتمعات قد يدفع بعض ضعيفي الإيمان إلى الكفر بالله، ظناً أن الكثرة دليل على الصواب.

الأهواء البشرية وحب الشهوات:

تعدّ الأهواء البشرية من أهم الأسباب، فحب الشهوات من غريزة جنسية غير منضبطة، وحب المال بلا قيود، والعجب والغرور والكبرياء، يجد فيها الملحد ضالته. فهو يريد أن يُفرغ شهوته بدون ضوابط ولا حساب ولا عتاب، ويحب أن يجمع المال كيفما شاء وينفقه فيما شاء دون أن يجد محاسبة وتقييداً له في حياته، وحبه للظهور والخروج عن المألوف بين معارفه فيظهر نفسه كأنه الأكثر فهماً وجراً.

الرغبة القاصرة والخوف من المسؤولية:

لأن الملحد عندما يخاف وجود الله، ويدرك أن وجوده يعني مسؤولية وتكليفاً، فإنه يُفكر في إنكاره كوسيلة للهروب من هذه المسؤولية، ويصل بعدها لعدم الإيمان به، ليُريح ضميره من تبعات الإيمان.

٢- أنواع الإلحاد: تصنيف لفهم الظاهرة الإلحادية

لفهم كيفية التعامل مع الملحدين، لا بد من معرفة أنواع الإلحاد المختلفة، لأن لكل نوع منطلقاً ودوافع تختلف عن الآخر، وبالتالي تتطلب طرقاً مختلفة في المناقشة:

الإلحاد الإنكاري (الإلحاد الكامل): وهو لفئة قرأت وتعمّقت في دراسة وجود الخالق كالفلاسفة الماديين أو علماء الطبيعة الذين لا يؤمنون بالغيبيات) لكنها وصلت إلى إنكار وجوده بشكل قاطع وجازم، وبالتالي رفض الأديان جملة وتفصيلاً وما يتعلق بها (من عقائد وشرائع وعبادات). هذا النوع مخرج عن الملة الإسلامية بالإجماع لأنه أوجب الكفر الصريح بوجود الله تعالى. هؤلاء يُمكن مجادلته بالأدلة العقلية والفطرية والعلمية القاطعة.

٢. **الإلحاد الرافض (الإلحاد الجزئي أو العملي):** وهو لفئة تعلم في قرارة نفسها أن الله

موجود، لكن غلبت عليها شقوتها وهواها، وباتت تتصرّف كأن الله غير موجود في واقعها

العملي، فتنتهك المحرّمات علناً، وتسخر من الدين وأحكامه وشعائره. هذا النوع يمكننا

أن نطلق عليه "الإلحاد الكاذب" أو "الإلحاد العملي" أو "الفسوق"؛ فهم يؤمنون بالقلب

ويُنكرون باللسان أو بالعمل. وهو مخرج عن الملة كذلك، غير أنه في منزلة أقل من

سابقتها من حيث درجة الإنكار الظاهر. هذا النوع يتطلب التركيز على الجانب الأخلاقي

والوجداني، وتذكيرهم بالفطرة والمسؤولية.

أهمية معرفة المخاطب: من هنا، لا بد من معرفة المخاطبين وأفكارهم ودوافعهم للبدء

منها والبناء عليها في الحوار، ولا بد أيضاً من معرفة الأسباب الحقيقية وراء إلحادهم،

هل هي أسباب علمية، أم نفسية، أم شهوانية، أم مجرد تأثير اجتماعي؟ كل نوع يتطلب

استراتيجية حوار مختلفة.

3- نصائح ذهبية عند مناظرة الملاحدة: استراتيجيات دعوية فعالة

إن المناظرة مع الملحدين تتطلب حكمة وبصيرة وعلمًا. هذه مجموعة من النصائح الذهبية، ذكرها نور الدين قوطيط في مقال منشور في موقع "[الألوكة](#)" (قوطيط، د.ت، موقع الألوكة، مقال "نصائح ذهبية عند مناظرة الملاحدة"، بتصرف للفائدة):

١. **الإخلاص لله تعالى:** تذكر أنّ غايتك من الحوار والمناظرة هي هداية الملحد وتبيين ضلاله بأدلة العقل الصريح والعلم الصحيح، أي أن تكشف له عن تجليات الحقائق في الدين، في الحياة، في الكون، في المصير بعد الموت. هذه الغاية النبيلة تحتم عليك توخي الحذر الشديد من الشرك الخفي (الغرور، العجب بالنفس، الرياء، طلب السمعة، حب الظهور)، وغير هذا من الموبقات الباطنة التي تدمر علاقة الإنسان بالله تعالى وتذهب بركة العمل. أي تحتم عليك الإخلاص لله تعالى في هذه الغاية النبيلة والهدف العظيم. ذلك لأنّ الإخلاص لله تعالى يمنحك قوة من الله تعالى وبصيرة واضحة في الحق والباطل، ويبارك في جهودك. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: "قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه" (رواه مسلم، ٢٠٠٠، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٢٨٩، حديث رقم ٢٩٨٥). ولهذا، ما زال العلماء يحذرون من المناظرات إلا للضرورة القصوى ولمن هو أهل لها، خشية الوقوع في هذه المهلكات.

٢. كن ذا أدب جميل وأسلوب راق: كن ذا أدب جميل وأسلوب راق، واختر كلماتك بعناية فائقة. فحسن الأدب وجمال الأداء في عرض الأفكار له تأثير قوي على النفس، ولو لا شعورياً؛ فهو يُلين القلوب ويُفتح الأذهان، ويُبعد الشبهات عن الدعوة. ولهذا، أمر الله سيدنا موسى عليه السلام وأخاه هارون أن ينهجا هذا النهج مع أعتى طاغية عرفه تاريخ البشرية، وهو فرعون، فقال: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]. أي أن "تكون بكلام رقيق لين سهل رفيق ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع" (ابن كثير، ١٩٩٩، تفسير القرآن العظيم، ج ٥، ص ٢٩٨). كما أن الله تعالى وجه نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم في محاوره بعض نماذج الكفر والنفاق قائلاً: ﴿فَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]. أي جهاد الحجة والبرهان بالقرآن، بلا كلل

ولا فتور، فهو جهاد الكلمة والدليل. ولا تُبرر لنفسك أن تنزل إلى مستوى الملحد إذا كان
قذر اللسان، مغرمًا بالشتيم والسخرية؛ فأنت تمثل الحق والعدل والجمال، ودينك يأمرك
بالخلق الحسن، فكيف تكون مثله؟!

٣. **التعمق في العلوم الشرعية (العدة والسلاح):** لا بد من ثقافة ووعي عميق في الدين يُعين
على تحصين النفس بداية، ثم يُمكن من عرض الحجة الدامغة والدليل القاطع على
كلامك وحديثك. أنصحك بالتعمق إلى أقصى ما تستطيع في العلوم الشرعية الأساسية:
القرآن الكريم والسنة النبوية، وكل ما تفرّع عنهما من العلوم المختلفة (التفسير، وعلوم
القرآن، والحديث، وعلوم الحديث، والفقه، وأصول الفقه، والعقيدة، ومقاصد الشريعة،
وعلم الكلام). إما على يد علماء متعمقين في ذلك، أو على كتبهم الصحيحة المعتمدة:
القديمة والحديثة، ودراسة الفكر الإسلامي المعاصر ومدارسه المختلفة، والفرق
والمذاهب. أنصحك بالتركيز (و لا أقول إهمال الباقي) على: قواعد التفسير وأصوله،
قواعد الفقه وأصوله ومقاصده، قواعد الحديث وأصوله. فهذه الدراسة المتعمقة هي

عدّتك وسلاحك الأقوى، وبذلك لن يستطيع الملحد أن يخترق نظامك الإدراكي
لدينك، ولن تلتبس عليه الشبهات.

٤. التوسع في الثقافات والمعارف والعلوم العصرية (فهم لغة العصر): توسع في الثقافات
والمعارف والعلوم العصرية إلى أقصى ما تستطيع، ولكن مع احترام الأولويات التي هي
علوم الشريعة. فذلك سيزيدك بصيرة واضحة بدينك، ومكانم القصور والخلل والباطل
فيما عند الآخرين. ولا تقتصر في الدراسة والمطالعة على علوم الشريعة المختلفة، بل
وسّع دائرة اهتماماتك لتشمل الثقافات والعلوم المعاصرة: علم النفس، علم الاجتماع،
علم الحضارة، الفلسفة (مع التمييز بين نافعها وضارها)، الفيزياء، الكيمياء، البيولوجيا،
الفلك.. إلخ. فإذا كانت علوم الشريعة هي الأساس والقواعد التي لا يجوز تجاوزها، فإنّ
هذه الثقافات والعلوم الحديثة لا شك أنها تفسح لك المجال لفهم دلالات الآيات
القرآنية والأحاديث النبوية بشكل أكثر رحابة، وتُعطيك القدرة على رؤية مكانم القصور
والخطأ والتناقض في الفكر الإلحادي، وتُمكنك من مجادلة الملحد بلغته ومصطلحاته
العلمية والفلسفية المعاصرة.

٥. الالتزام بالحوار الجاد وتحديد المرجعية: التزم بالحوار الجاد والموضوعي أثناء المناظرة، ولا تسمح للملحد أن يفقد الحوار قيمته بكثرة التشغيب والصراخ، ومزج المواضيع والتنقل بينها كيف شاء؛ فهذه هي خطتهم مع من يحاصرهم بالأسئلة والإشكالات المنطقية. فلا بد من تحديد موضوع النقاش بدقة في بداية الحوار، وكذلك المرجعية التي تحتكمان إليها وترضيان بأحكامها. ومن الطبيعي أن يُطالبك بأن تكون المرجعية هي: العقل والعلم. فالتزم له بذلك بوضوح، إلا أنك ستجده بشكل تلقائي يكفر بأحكام العقل الصريح ومقررات العلوم الثابتة عندما تُعارض فكره الإلحادي؛ وهذا من تناقضهم الذي يجب أن تُبرزه له بلغة مهذبة.

٦. لا تنخدع بالشعارات البراقة والإرهاب النفسي: لا تنخدع ولا تهولك كثرة الكلمات والمصطلحات التي يستعين بها الملاحدة، ورفعهم الدائم لشعارات براقة، مثل: "عقل"، "دليل"، "علم"، "لقد درسنا وبحثنا"، "وعلماء العالم كلهم متفقون على كذا" .. إلخ. فهم بهذا ينشدون صدمتك النفسية وإرهابك فكرياً، لكي يعجز عقلك عن التفكير النقدي وبالتالي يتشرب طروحاتهم وشبهاتهم. أي أنهم يمارسون "إرهاباً نفسياً" على المستمع

أو المناظر. وهذا خطة قديمة ليست جديدة، بل هي خطة يهودية، مارسوها قديماً مع المسلمين لكي يشككواهم في الإسلام. ولهذا خلد الله تعالى هذا الموقف في القرآن لكي يعتبر به المؤمن، فقال حكاية عنهم: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَانكُفُّوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢]. وقد قال الإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ) عن الفلاسفة ومقلديهم الذين يخدعون الناس بمصطلحاتهم: "وإنما مصدر كفرهم سماعهم أسماء هائلة، كسقراط، وبقراط، وأفلاطون، وأرسطو طاليس، وأمثالهم، وإطناط طوائف من متبعيهم وضلالهم في وصف عقولهم، وحسن أصولهم، ودقة علومهم: الهندسية، والمنطقية، والطبيعية، والإلهية، واستبدادهم - لفرط الذكاء والفطنة - باستخراج تلك الأمور الخفية، وحكايتهم عنهم أنهم - مع رزانة عقولهم، وغزارة فضلهم - منكرون للشرائع والنحل، وجاحدون لتفاصيل الأديان والملل، ومعتقدون أنها نواميس مؤلفة وحيل مزخرفة" (الغزالي، د.ت، تهافت الفلاسفة، ص ٢٤). فكن واثقاً بدينك وعقلك؛ فأنت تنتمي إلى الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٧. اليقين بأن الوحي لا يناقض العقل الصريح والعلم الثابت: اعلم علم اليقين بل حق

اليقين أنّ الوحي الرباني والمنهج الإسلامي يستحيل أن يناقض عقلاً صريحاً (العقل

المستنير الذي لا يخضع للهوى) أو علماً ثابتاً (الحقائق العلمية اليقينية التي لا تقبل

الشك، لا النظريات الظنية والمتغيرة). فالوحي كلام الله، والعقل خلق الله، وكلاهما من

عند الله، ولا يمكن أن يتناقض كلام الله مع خلقه. ولهذا قال الحق سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ

لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]. هذه الآية تُبين أن الدين هو الفطرة السليمة التي

خلق الله الناس عليها، والفطرة لا تُعارض العقل الصريح. كما أنّ الله تعالى نبّه على عمق

الانسجام بين الوحي والعقل بقوله عن خلق الإنسان: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ

رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]. وهذا يُشير إلى التوازن بين الجانب المادي والروحي، وأن

الإنسان مُزود بالعقل والروح اللذين يُدركان الحق.

٨. التأكد المطلق من ضلال الملحدين ومعرفة مكان ضعفهم: تأكد بصورة مطلقة أنّ

الملاحظة على باطل وضلال مهما زخرفوا القول وزيّنوا الحديث، ذلك لأنّهم ناقضوا

صريح المعقول (البديهيات العقلية كبداية وجود خالق للكون المنظم)، ورفضوا دلائل العلوم (التي تُشير إلى التصميم الدقيق والخلق العظيم)، وعاندوا بديهيات الفطرة الإنسانية التي تُقر بوجود خالق. بل تأكد أنهم يدركون في قرارة أنفسهم أنهم على باطل وأن هناك شيئاً مضطرباً في نظامهم الإدراكي؛ لأنهم يُخالفون ما تُخبر به فطرتهم وما يشهد به عقلهم. ولكن هناك مجموعة من العناصر النفسية والشرطانية والشهوانية التي تتدخل في تنفيرهم من الله والهروب منه، ولما كانت الحقائق على وجود الله تعالى واضحة، والبراهين على ضلال الإلحاد والكفر جليّة، فضحهم الله تعالى في القرآن الكريم فقال:

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]. هذه الآية تُشير إلى أن إنكارهم ليس عن قناعة حقيقية، بل عن جحود نابع من الظلم والكبر والحسد، فهم يُدركون الحق بقلوبهم ولكنهم يُنكرونه بألستهم.

٩. الحذر من طريقة العموميات والتعميمات والمطالبة بالتفصيل: أحد أهم خطط الملاحظة في التشغيب على العقل المسلم والتشويش على الحقائق لديه، هو استعمال طريقة العموميات والتعميمات. ماذا أقصد بهذا الكلام؟ طريقة العموميات أقصد بها أن

الملحد يستعمل الكلمات بمعناها العام المقبول لدى جمهور الناس (مثل: "الدين يقتل الإبداع")، ويرفض تحليلها والدخول في تفاصيلها الدقيقة؛ لأنه يدرك أن هذا التفصيل للكلمات وتحديد المعاني المرادة منها بالضبط أثناء الحوار والمناظرة سيهدم عليه أفكاره وينقض له بناءه الإلحادي المتهاوي. ولهذا، احرص أيها المؤمن على عدم الانخداع بالعموميات، بل طالبه دائما بتحديد الكلمات بمعانيها اللغوية والاصطلاحية الدقيقة، وهذا ما يسميه علماءنا بـ"السبر والتقسيم" أو "التفصيل"، أي تفكيك الكلمات والمفاهيم لقبول ما فيها من الحق ورد ما فيها من الباطل، وعدم الخلط بين المفاهيم المتباينة.

١٠. عدم الاغترار بالمصادر والمطالبة بالتحقق والتحليل السياقي: لا تغتر بالمصادر التي يذكرها الملحد أثناء حوارهِ ومناظرته، فهم - غالبهم - قوم بُهت، يفترون الكذب وهم يعلمون (لتحقيق مآربهم وإثارة الشبهات)، وبعضهم الآخر يجهل ما ينقل، ولا يعرفون أساسيات المعاني والتوجيه الصحيح للنصوص أو السياقات. ولهذا، يجب عليك أن تطالبه أولاً بالمصدر الأصلي، وأن تتأكد بنفسك من صحته ووجوده، ثم تأمل معاني

الحديث وشروح العلماء له إن كان حديثاً صحيحاً مقبولاً لدى علماء الحديث، وأيضاً سياق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأيضاً سياق شاهده من كلام العلماء الذي يستشهد به، والغفلة عن هذه الحقيقة ستجعل الملحد يحاصر ك في دائرة ضيقة حرجة من المغالطات والأكاذيب.

١١. ضرب الصور الافتراضية والمنطقية: علينا الاستفادة من كلامه المتناقض، فقله: "أين الرب الرحيم؟" يعني أنه يثبت الله (بوصف الرحمة) ولكنه يتساءل عن غيابه (في تصور الملحد). وهذا تناقض يجب إبرازه. كما يمكن ضرب صور افتراضية كالتي يطرحها، فمثلاً نقول له: "ماذا لو سلّمنا أن الخالق موجود، فماذا يكون بعد موتك؟ لا بد أنه سيعينك يوم القيامة إذا كنت من المؤمنين به، أما إذا ما كان هناك خالق (بحسب فرضك) فلن تخسر شيئاً سوى بعض الأمور التي حرمت نفسك منها في الدنيا (كالسعادة الروحية والسكينة والطمأنينة)؛ وهكذا نعرض له الفكرة تلو الأخرى لعل الله يفتح على ديننا ونجد ما نطرق به قلبه، ونُقدم له الخيار الأفضل والأكثر أماناً.

١٢ . نقض فكر الملحد قبل بناء أفكارنا (هدم المعيق): لا بد من نقض فكر الملحد وهدم أساس شبهاته قبل أن نبني أفكارنا وحججنا الإيمانية. فنبدأ بإزالة ثقته بأفكاره وإلحاده، والتدليل على فسادها، ثم التدليل على وجود الخالق بأدلة الفطرة والعقل والعلم، ثم نتبعها بإزالة الشبهات التي تُعرض عليه حول الإسلام، مع عرض صورة الإسلام الزاهية والخالية من التناقضات، والتي تُقدم حلولاً لمشكلات الإنسان الحقيقية.

٤ - مفهوم القيم والأخلاق في الإسلام: إطار شمولي لتعزيز الإيمان

إن مواجهة الإلحاد لا تقتصر على الأدلة العقلية فحسب، بل تمتد لتشمل تعزيز المنظومة القيمية والأخلاقية التي تُقدمها السيرة النبوية والشريعة الإسلامية كبديل متكامل للفراغ الروحي والأخلاقي الذي يُولده الإلحاد.

أ. مفهوم القيم:

القيم عبارة عن مجموعة من الأحكام الانفعالية النابعة من العقل والوجدان، والتي تقود الشخص نحو رغباته واتجاهاته السلوكية والمعرفية. وتكتسب هذه القيم من المجتمع المحيط فيتشربها الشخص وتُصبح هي المُحرِّك لسلوكياته العامة والخاصة، وهي التي

تُوجه خياراته وأفعاله. والقيم الأخلاقية عبارة عن نوعٍ من أنواع القيم، تختص بجوانب الشخصية التي يصدر الفرد من خلالها الأحكام الخلقية التي تتوافق مع طبيعة الأعراف، والعادات، والتقاليد، والقوانين السائدة في البيئة التي يعيش فيها، وتكون هذه الأحكام متوافقة مع قناعات الشخص وضميره الذي يُشكله الدين والمجتمع.

القيم لغة: هي جمع "قيمة"، وهي مأخوذة من التقويم وإزالة الاعوجاج، ويُراد بها المثل والمبادئ الاجتماعية السامية، والمعايير التي تُقاس بها الأفعال والأشياء. (عابد الجابري، د.ت، مصادر القيم في الفكر الإسلامي، ص ٥-٦ / ١٣-١٤، بتصرّف).

ب. مفهوم الأخلاق في الإسلام:

الأخلاق في الإسلام هي ما يُنظم السلوك الإنساني من مبادئ وقواعد مُحددة عن طريق الوحي الإلهي (القرآن والسنة)، بغاية تحقيق الغاية من وجود الإنسان على الوجه الأمثل، وهي العبودية لله تعالى وعمارة الأرض بالعدل والإحسان. والقيم الأخلاقية في الإسلام تُعدّ جزءاً لا يتجزأ من الدين ذاته.

تعريف القيم الأخلاقية في اللغة:

- الدوام، والثبات، والاستمرار (في الصفات الحميدة).
- إعطاء الشيء حقه بالوجه المطلوب (الإتقان والإحسان).
- الاستقامة في جميع نواحي الحياة (التوازن والاعتدال).
- القيمة للشيء، وثمرته (القيمة الحقيقية للسلوك).

تعريف القيم الأخلاقية في الاصطلاح:

- أطلق على مفهوم القيم الأخلاقية في الاصطلاح عدة معاني، منها:
- المعرفة الشاملة لكل الصفات والمعاني الحسنة التي ترضي المولى أولاً، والخلق ثانياً (أي ما يرضي الله ويُفيد الخلق)، وتقتصر الأخلاق والقيم التابعة لها على الإنسان، دون الحيوان (لأن الإنسان هو المكلف والمسؤول).
 - الصفات والمعاني المكتسبة (عبر التربية والتهديب) والتي لا تتغير بمرور الزمن، أو المواقف (أي أنها ثابتة وراسخة لا تتأثر بالظروف الطارئة).

ج. مصادر اكتساب القيم الأخلاقية في الإسلام (المنهج النبوي):

لا شك بأن مفهوم القيم الأخلاقية يهذب الفرد، ويُصلح المجتمع بشكل عام. لذا، تم تخصيص بعض المصادر الأساسية التي من خلالها يستطيع الشخص أن يكتسب هذه القيم، وأن يُنميها في نفسه، وأن يُثبتها في حياته.

ومن ضمن هذه المصادر المهمة ما يلي:

١. العقيدة الإسلامية الصحيحة: تُعد العقيدة الإسلامية الصحيحة أساساً متيناً لاكتساب القيم والأخلاق الفاضلة. فالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، يُولد في النفس السمو في الأخلاق الحميدة، والخشية من الله، ومراقبة الضمير، وحب الخير للغير.

٢. الإلحاح والطلب من المولى عز وجل بمحاسن الأخلاق: الدعاء والتضرع إلى الله تعالى بطلب محاسن الأخلاق هو منهج نبوي. ونرى ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم حينما كان يطلق هذا الدعاء: "وَاهِدِنِي لأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ" (رواه مسلم، ٢٠٠٠، صحيح

مسلم، ج ١، ص ٥٣٤، حديث رقم ٧٧١). هذا الدعاء يُبرز أن الأخلاق هبة من الله، وأن الإنسان يسعى إليها ويطلبها من ربه.

٣. تجنب المعاصي والذنوب وكل ما يغضب المولى عز وجل: حيث أن الذنوب والمعاصي من أول الأسباب المجلبة لسوء الخلق وقسوة القلب، وهي تُبعد الإنسان عن طريق الخير والفضيلة. فالمحافظة على الطاعات والبعد عن المعاصي يُظهر القلب ويُهذب النفس.

٤. محاسبة النفس ووجود عقوبة قاسية في حالة عمل أي شيء سيء بالأخلاق: محاسبة النفس على تقصيرها، والندم على الخطأ، والتوبة منه، تُسهم في تصحيح المسار الأخلاقي. وفي الشريعة، وُضعت عقوبات رادعة لبعض الأفعال التي تُسيء للأخلاق (كالسرقة، والزنا، والقذف) لضمان حفظ المجتمع من الفساد.

٥. إصلاح الذات من حين لآخر، وعدم القنوط أو اليأس من ذلك الإصلاح: الكمال لله وحده، والإنسان قد يقع في الخطأ والتقصير. ولكن المنهج الإسلامي يُعلمنا ضرورة

إصلاح الذات باستمرار، ومراجعة السلوك، وعدم القنوط أو اليأس من ذلك الإصلاح،
فباب التوبة مفتوح.

٦. العفو والمسامحة ابتغاء مرضاة الله عز وجل: عدم محاسبة الآخرين بشكل متكرر إن
أخطأوا في حقك، بل العفو والمسامحة ابتغاء مرضاة الله عز وجل، هو من أعظم الأخلاق
التي تُنمي المحبة والتآلف في المجتمع، وتُزيل الضغائن.

٧. تجنب الأشخاص أصحاب الأخلاق الرديئة والسيئة (الصحبة الصالحة): تجنب
مخالطة الأشخاص أصحاب الأخلاق الرديئة، والسيئة حتى لا ينعكس ذلك سلبيًا على
من يريد إصلاح ذاته. فالمرء على دين خليله، والصحبة الصالحة تُعين على التزام القيم.

٨. الحرص على مقابلة الإساءات بالحسنات: هذا من أعلى درجات الأخلاق، حيث
يُقابل السيئة بالحسنة، ويدفع بالتي هي أحسن. قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
السَّيِّئَةِ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

٩. الصبر على من ظلمك، ومن ثمرات الصبر الجلية: الصبر على من ظلمك، وعلى
البلاء، وعلى الشهوات، هو من الأركان الأساسية لاكتساب الأخلاق. كما أن من ثمرات

الصبر الجلية أنها تساعد الشخص على اكتساب مجموعة كبيرة من الصفات المحموده بين الناس (كالعلم، والتحمل، وضبط النفس).

١٠. قراءة الكتب الأخلاقية والتي توضح مكانة الأخلاق في الإسلام: المطالعة في كتب السيرة النبوية والتراجم وكتب الأخلاق الإسلامية (مثل الأخلاق النبوية، ورياض الصالحين، وإحياء علوم الدين) والتي توضح مكانة الأخلاق في الإسلام، والثمرات التي تُجنى من خلالها، تُثري الجانب المعرفي وتُحفز على العمل.

٥ - مكانة الأخلاق في الإسلام: بناء حضاري وغاية نبوية

تعدّ الأخلاق من أساسات قيام الحضارات والثقافات، ولهذا فقد احتلت جانباً مهماً ومركزياً في دين الإسلام، حيث تعدّ بمثابة الجانب المعنوي والروحي للدين، والعمود الفقري لبناء المجتمع الصالح. إن الإسلام لم يأت بمجرد شعائر تعبدية جوفاء، بل جاء بمنظومة قيمية متكاملة تهدف إلى تهذيب النفس البشرية والارتقاء بها.

إتمام مكارم الأخلاق كغاية للبعثة النبوية: وقد بين النبي -صلى الله عليه وسلم- أن من أسباب بعثته الشريفة؛ إتمام منظومة الأخلاق، والرقي بها إلى أسمى مراتبها. ففي حديث

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "إنما بُعثُ

لأنتم مكارم الأخلاق" (الألباني، د.ت، السلسلة الصحيحة، ج ١، ص ٤٥، صحيح). هذا

الحديث يُبرز أن الأخلاق هي جوهر الرسالة النبوية، وأنها من أهم مقاصدها.

القرآن يُزكي خلق النبي صلى الله عليه وسلم: كان - صلى الله عليه وسلم - أحسن الناس

خُلُقًا على الإطلاق، وكان خلقه القرآن. وامتدحه بذلك رب العزة قائلاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ

خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. هذه الشهادة الإلهية تُعطي الخلق النبوي مكانة فريدة، وتجعله

النموذج الأسمى الذي يُحتذى به في كل زمان ومكان، خاصة في مواجهة الفراغ الأخلاقي

الذي يُسببه الإلحاد.

الأخلاق طريق القرب من النبي يوم القيامة: ومما يدل على أهمية الأخلاق ومنزلتها في

دين الإسلام؛ أن صاحب الخلق الحسن أقرب الناس منزلةً من النبي - صلى الله عليه

وسلم - يوم القيامة. ففي حديث عبدالله بن عمرو - رضي الله عنه - أن النبي - عليه الصلاة

والسلام - قال: "ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة؟ فسكت القوم

فأعادها مرتين أو ثلاثًا، قال القوم: نعم يا رسول الله، قال: أحسنكم خُلُقًا" (رواه الإمام

أحمد، ٢٠٠١، المسند، ج ١١، ص ٢٣، إسناده صحيح). هذا يُشكل دافعاً عظيماً للمؤمن للاجتهاد في تحسين خلقه.

حسن الخلق أثقل الأعمال في الميزان:

وأنَّ حُسْنَ الأخلاق من أثقل الأعمال في ميزان العبد يوم القيامة، مما يُبين عظم أجرها عند الله. فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "ما مِنْ شَيْءٍ يَوْضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخَلْقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخَلْقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةً صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ" (الألباني، ٢٠٠٣، صحيح الترمذي، ص ٢٠٠٣، صحيح). هذا الحديث يُعظم من شأن الأخلاق، ويُساويها بعبادات عظيمة كالقيام والصيام.

كمال الإيمان بحسن الخلق:

كما أنَّ مكارم الأخلاق دليلٌ على كمال إيمان صاحبه، فالإيمان لا يكتمل إلا بالخلق الحسن. قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا" (رواه الترمذي، ٢٠٠٣، سنن الترمذي، ج ٣، ص ٥١١، حديث رقم ١١٦٢، صحيح). هذا يُشير إلى العلاقة الوثيقة بين الإيمان والعمل الأخلاقي، فالأخلاق ثمرة الإيمان الحقيقي.

6- ملامح الفكر الإلحادي المعاصر: كشف الشبهات وبيان التزييفات

لفهم كيفية التعامل مع الإلحاد، لا بد من معرفة ملامح الفكر الإلحادي المعاصر، وأساليبه في التشغيب وإثارة الشبهات. إليك مجموعة من هذه الملامح التي يجب على الداعية وطالب العلم أن ينتفع بها:

الإلحاد يقوم على كم هائل من الشبهات المضللة والتزييفات الخادعة: الإلحاد بفروعه كافة لا يستند إلى أدلة علمية قطعية أو عقلية صريحة تُثبت عدم وجود الخالق، بل يقوم على كم هائل من الشبهات المضللة، بل على كم هائل من التزييفات الخادعة، التي تدور بين أربع مستويات رئيسية:

١. شبهات عقلية: تُحاول الطعن في العقل أو قدرته على إدراك الغيب أو تصور الخالق.
٢. شبهات علمية: تُحاول تفسير الكون والوجود تفسيراً مادياً بحثاً، وادعاء أن العلم الحديث قد نفى الحاجة إلى خالق.

٣. شبهات دينية: تُركز على الأخطاء التاريخية لبعض المؤسسات الدينية (مثل الكنيسة في الغرب)، أو تُحاول تضخيم الخلافات الفقهية في الإسلام، أو ربط الإسلام بتصرفات المتطرفين لتشويه صورته.

٤. شبهات عاطفية: تُستغل فيها المشاعر الإنسانية (كالظلم، والمعاناة، والتساؤل عن الشر في العالم) لتبرير الإنكار، بعيداً عن الحجة العقلية.

استغلال القاسم اللغوي المشترك لكلمة "دين": يستغل الإلحاد القاسم اللغوي المشترك لكلمة: "دين"، فيعتقدون - ويريدون للقارئ أن يعتقد أيضاً- أن كل ما صح بحق المسيحية مثلاً من أخطاء تاريخية أو تحريفات عقائدية (كعقيدة الثالوث) يصح بحق الإسلام، والسبب أن كليهما تنسحب عليه كلمة: "دين"، وبالتالي فهما نسخة واحدة ومتشابهتان. وهذا مغالطة واضحة تتجاهل الفروقات الجوهرية بين الأديان في مصادرها، وكمال شريعتها، وعقائدها.

عجز العقل الإلحادي عن فهم مستويات الوجود (الواجب والممكن والمستحيل): العقل الإلحادي يعجز عن فهم مستويات الوجود الثلاثة في الفلسفة وعلم الكلام: الواجب الوجود (الذي لا يحتاج إلى خالق لأنه أزلي واجب بذاته وهو الله)، والممكن الوجود (الذي يحتاج إلى خالق لأنه يمكن أن يوجد ويمكن أن لا يوجد وهو المخلوقات)، والمستحيل الوجود (الذي لا يمكن أن يوجد). ولهذا تراه يخلط في أسئلته وافتراضاته، ويؤسس عليها كمًّا هائلًا من النتائج الباطلة. ومعلوم في قوانين العقل والمنطق أن المقدمة إذا كانت خطأ، فبالضرورة تكون النتيجة خطأ، ولهذا يشددون على سؤال: "من خلق الله؟!!" (وهي شبهة قديمة) علمًا أن صيغة هذا السؤال تهدم نفسها بنفسها؛ لأنه إذا كان الإله مخلوقًا من طرف الله، إذاً فالله هو الإله والخالق الوحيد، أما الآخر فهو مخلوق وليس إلهًا. وقس على هذا السؤال الفاسد غيره من الأسئلة التي تثبت فساد السؤال لا فساد العقيدة.

رفض الفكر الإلحادي الاعتراف باللغة وسعة دلالاتها المتنوعة: يرفض الفكر الإلحادي الاعتراف باللغة وسعة دلالاتها المتنوعة؛ سواء الفكرية، أم الأخلاقية، أم النفسية. ولهذا تجد لديه حساسية شديدة تجاه المفردات اللغوية التي تحمل - من بين ما تحمل - شحنات دينية؛ مثل: "عقيدة"، "عبادة"، "تقليد" .. إلخ. فهم يحاولون تجريد الكلمات من معانيها الروحية والأخلاقية، ويُفسرونها تفسيراً مادياً فقط، مما يفقد اللغة جزءاً كبيراً من ثرائها ودلالاتها العميقة.

الاعتماد على طرح أسئلة مبنية على أصول مغلوطة:

من خُذع الإلحاد الماكرة أنه يعتمد على طرح أسئلة هي في أساسها مبنية على أصول أخرى غير متفق عليها، وبدون التسليم بتلك الأصول والاعتناء بها، تجرّ تلك الأسئلة الماكرة صاحبها إلى بلبلة فكرية واضطراب عقائدي. أمثلة: "لماذا خلقنا الله بدون أن يأخذ رأينا؟!" (الرد: أنت مخلوق لا رأي لك في الخلق، فكيف يأخذ رأيك؟) أو "إذا كان الله - سبحانه - يريد الخير لنا، فلماذا خلق النار قبل أن يخلقنا؟!" (الرد: أنت مخلوق

عاجز عن فهم طبيعة روحك، فكيف تريد أن تُحيط علماً بحكمة الله المطلقة وتديره
للأمور الغيبية؟).

قلب ميزان الدليل (من المطالب بالدليل): "

أكثر ما يلجأ إليه الملحدون في الاحتجاج لإلحادهم هو أن المؤمنين بوجود الخالق لم
يُعطوهم على وجوده حجة مقنعة. لكنهم حين يفعلون ذلك يفترضون أن الأمر الطبيعي
هو عدم وجود الخالق، وأن الذي يدعي وجوده هو المطالب بإعطاء الدليل على وجوده.
لماذا لا يكون العكس؟ لماذا لا يكون الأمر الطبيعي هو الأمر الذي يُؤمن به جماهير
الناس والذي يجدون له أصلاً في نفوسهم، وأن الذي يشذ عن هذا هو المطالب بالدليل؟"
(أحمد ديدات، ١٩٨٦، مناظرة هل المسيح إله؟ - مثال على قلب ميزان الدليل، وإن
كان سياق الاقتباس الأصلي يخص المسيحية، إلا أن الفكرة تُطبق على الإلحاد). الفطرة
السليمة والبديهيات العقلية تُشير إلى وجود خالق، فالمُدعي لخلاف الفطرة هو من يلزمه
الدليل.

• الإلحاد الغربي: ينطلق من ثلاثة منطلقات تاريخية وفلسفية: واقعه المعاصر

الغارق في الماديّة المطلقة، تاريخه البئس مع الكنيسة وظلمها للعلم والعلماء، مقولات

الفلسفة اليونانيّة الملحدة أو المشككة. هذه المعطيات - خاصة المعطى الأول والثاني

- ساهمت بشكل كبير وفَعّال في تشكيل عقليّة الإلحاد لدى الملاحدة الغربيين.

• الإلحاد العربي المعاصر: يأتي الإلحاد العربي في كثير من الأحيان كتقليد أعمى

للإلحاد الغربي، فيُسقط هذه الملابسات التاريخية والظروف الخاصة على نفسه في

علاقته هو بالإسلام وكل شيء، دون فهم لاختلاف الظروف. ينطلق الإلحاد العربي

المعاصر من ثلاثة منطلقات: واقعه الحال كالمتردي في التخلف والاستبداد (ويُحمل

هذا على الدين)، انصهاره في بوتقة الإلحاد الغربي ولهذا ينقل شبّهاته وأفكاره دون

تمحيص (فلست تجد فكرة عند الملحد العربي إلا وتجد شقيقه الغربي سبقه إليها

أولاً)، وثالثة الأثافي: جهل شنيع بالمنظومة الإسلامية تصوراً وممارسةً، وهذا يدل على

فقر العقل الملحد العربي وعجزه عن ابتكار أفكار جديدة تخص عقيدته الإلحاديّة،

والعجب أنّه يدعي بعد هذا العقل والحرية، وهو في الواقع مُقلد أعمى.

• الإلحاد المعاصر كـ "حتمية تاريخية" أو "ضرورة وجودية": من مميّزات الإلحاد

المعاصر عن الإلحاد القديم، أنّ كهنته يُروجون لزعم يعتقدون أنّه برهان قاطع على صحة دينهم الإلحادي الجديد، ألا وهو تقديمهم لدين الإلحاد على أنّه حتمية تاريخية وضرورة وجودية (كما روجت الماركسية). وأنّ العلم والزمن كفيّلان بإسقاط الإله من على عرشه، وبالتالي كشف خرافات العقائد الدينية التي تأسست على فكرة وجود إله مطلق، وبالتالي سيحل العقل والعلم في تنظيم شؤون الحياة تنظيمًا راقياً وتفسير معطيات الحياة تفسيرًا صحيحًا، وتحقيق السعادة للإنسان بصورة جميلة، محلّ العقائد الدينية ومقولة الإله المطلق. وهذا ترويج زائف؛ فالعلم يكتشف قوانين الله في الكون، ولا ينفي وجوده.

• الزعم بأن الإلحاد ليس دينًا ولا منهجًا ولا عقيدة (مغالطة المفهوم الكلي): يُروج

كهنة الإلحاد المعاصر وأربابه لفكرة مأكرة كثيرًا ما خدعت الشباب والسذج من الناس من ذوي الثقافة والمعرفة المحدودة، ألا وهي أنّ الإلحاد ليس دينًا ولا منهجًا ولا عقيدة، بل هو فقط موقف يتبنّاه المرء تجاه مسألة وجود الإله، والحياة بعد الموت.

والمكر هنا هو أن كل فكرة كلية (كالإلحاد) تشمل بالضرورة: التصورات العقلية (عن الكون والحياة)، وعنهما تنتج القيم الأخلاقية (فلا مرجعية للخير والشر)، وعنهما تتحدد طبيعة القوانين التشريعية (فلا حكم إلا للإنسان) والعلاقات الاجتماعية. أي أن كل فكرة كلية تأخذ طابعا فلسفياً شمولياً، لا يمكن أن تنفصل عراها مطلقاً؛ فالإلحاد وإن لم يكن ديناً بالمعنى المؤسسي، فهو رؤية شاملة للوجود تُحدد القيم والسلوك.

الخاتمة: السيرة النبوية كمنهج أصيل لتعزيز القيم ومواجهة تحديات الإلحاد

إن عصر الإلحاد المعاصر، بكل تحدياته الفكرية والنفسية، يتطلب من المسلمين وعياً عميقاً بطبيعة الإلحاد ومنطلقاته، ومنهجاً علمياً ودعواً رصيناً لمواجهة. وتبرز السيرة النبوية الشريفة كمنهج أصيل وفاعل في تعزيز القيم والأخلاق التي تُشكل حصناً منيعاً ضد تيارات الإلحاد والتفلسف. فالسيرة النبوية ليست مجرد سرد تاريخي لأحداث مضت، بل هي تجسيد حي للقرآن الكريم، ومصدر لا ينضب للقيم والأخلاق التي تُشكل بديلاً متكاملًا وواضحاً للفراغ الروحي والأخلاقي الذي يُعاني منه الملحد.

إن النبي صلى الله عليه وسلم، بصفته النموذج الأكمل للإنسان، قدم للبشرية نموذجاً عملياً يجمع بين سمو العقيدة، وعمق الأخلاق، وواقعية التطبيق. فقد كان خلقه القرآن، وكل صفة عظيمة في الإسلام جسدها النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وسيرته. وحينما يرى الإنسان في السيرة النبوية نموذجاً حياً للصدق، والأمانة، والرحمة، والعدل، والصبر، والوفاء، والتواضع، والشجاعة، فإنه يجد في هذه القيم ما يُشبع فطرته ويُجيب عن تساؤلاته الوجودية، ويُبين له أن التدين الحقيقي هو مصدر الأخلاق لا نقيضها.

النتائج الرئيسية التي توصلت إليها الدراسة:

١. الإلحاد ظاهرة تتغذى على الجهل، وضعف الإيمان، وبعض التأويلات الخاطئة للعلوم، بالإضافة إلى العوامل النفسية والسلوكية، وتقديم صورة مشوهة للدين.
٢. الإلحاد له أنواع مختلفة (إنكاري وعملي) تتطلب أساليب دعوية ومعالجة مختلفة.
٣. مواجهة الإلحاد تتطلب استعداداً علمياً عميقاً في العلوم الشرعية والعصرية، وورعاً وإخلاصاً، وأدباً رفيعاً في الحوار.

٤. يجب على الداعية كشف شبهات الملحدين ومغالطاتهم المنطقية واللغوية والعلمية،

وبيان تناقضاتهم الداخلية.

٥. القيم والأخلاق في الإسلام تُشكل منظومة متكاملة، تُكتسب من العقيدة الصحيحة،

والدعاء، وتجنب المعاصي، ومحاسبة النفس، والصحبة الصالحة.

٦. الأخلاق تحتل مكانة محورية في الإسلام، فهي غاية البعثة النبوية، وميزان الأعمال،

ودليل كمال الإيمان، وهي أساس بناء الحضارات.

٧. السيرة النبوية تُقدم النموذج الأسمى لتجسيد هذه القيم والأخلاق، وتُعد من أقوى

الأدلة العملية على صدق الدين.

التوصيات المقترحة (خارطة طريق للمستقبل):

١. تعزيز تدريس السيرة النبوية والشمائل المحمدية: يجب التركيز على تدريس السيرة

النبوية والشمائل المحمدية في جميع مراحل التعليم، وإبراز الجانب القيمي والأخلاقي

فيها، بحيث تُقدم نموذجاً عملياً للإيمان المتجسد في السلوك.

٢. تطوير خطاب دعوي معاصر: تطوير خطاب دعوي معاصر يُخاطب عقل الشباب

الملحد، ويُقدم الأدلة العقلية والعلمية على وجود الخالق، ويُزيل الشبهات، مع التركيز على دور القيم والأخلاق في بناء الفرد والمجتمع.

٣. تأهيل الدعاة والمتخصصين: تأهيل دعاة متخصصين في مقارنة الأديان والفكر

الإلحادي، يجمعون بين العلم الشرعي والعلوم العصرية، ويمتلكون مهارات الحوار والمناظرة.

٤. إنشاء مراكز بحثية متخصصة: إنشاء مراكز بحثية متخصصة لدراسة ظاهرة الإلحاد

محلياً وعالمياً، وتحليل أسبابها، وتطوير استراتيجيات لمواجهتها.

٥. تقديم الإسلام بصورته النقية: يجب على المسلمين أفراداً ومؤسسات تقديم الإسلام

بصورته النقية، بعيداً عن الغلو والتطرف والجهل، والعمل على تجسيد القيم والأخلاق

الإسلامية في حياتهم اليومية، ليكونوا قدوة حسنة.

٦. التركيز على الجانب الوجداني والفطري: في الحوار مع الملحدين، لا يُكتفى بالجانب

العقلي، بل يجب التركيز على الجانب الوجداني والفطري، وتذكيرهم بالنداء الفطري

للخالق، وتأثير الإيمان على السكينة والطمأنينة النفسية.

٧. الاستفادة من تناقضات الفكر الإلحادي: يجب الاستفادة من تناقضات الفكر

الإلحادي وفساده، وبيان أنه لا يُقدم بديلاً منطقياً أو أخلاقياً قابلاً للحياة.

نسأل الله تعالى أن يهدي ضال المسلمين، وأن يرد الإنسانية إلى صراطها المستقيم، وأن

يُمكن لهذه الأمة من القيام بواجبها في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.